الجزئية المحققة في الهجمات السابقة والانطلاق منها في هجمات لاحقة تحقق نجاحات جزئية جديدة يؤدي تراكمها الى تحقيق النجاح النهائي » .

ويدفعنا صمود مقاتلي تل الزعتر واقدامهم لان نتساءل : ماذا كان بوسع العرب في العصر الحاضر ان يقدموا الى التاريخ العسكري والقيم الحربية السامية لو ان كل موقع من مواقعهم صمد كتل الزعتر ؟ وما هو الشكل الذي كانت ستدور به الحروب العربية ـ الاسرائيلية ، لو ان كل موقع وتل وقرية تحول في هذه الحروب الى نقطة اجتذاب واستنزاف تتابع القتال حتى اخر طلقة ، وحتى بعد اعلان الخصم عن سقوطها ؟ لقد اعلن مهاجمو تل الزعتر اكثر من مرة ان المخيم قد سقط ولكن الاعلان الناجم عن الرغبة الذاتية شيء والحقائق الموضوعية على ارض المعركة شيء اخر . وكل البيانات المدبجة في برلين عن سقوط ستالينغراد في العام ١٩٤٢ لم تؤد الى سقوط المدينة ولم توهن عزائم المدافعين عنها ، ولم تمنع المارشال فون باولوس و٢٣ من جنرالاته و٩١ من جنوده من الوقوع في الاسر في ٣١ـ١ـ١٩٤٣ .

ورغم وضوح عدم فك الحصار عن المدافعين ، فقد بقيت « منارة الصمود والاقدام » مضيئة في تل الزعتر خلال ٥٢ يوما تعرضت فيها لسبعين هجوما مركزا . واذا كان المهاجمون قد احتلوا المخيم في ١٢ آب ، فانهم لن يستطيعوا ان يمسحوا من وعي هذه الامة وتاريخها ان هذه المنارة بقيت واشعت، وخلقت الاسطورة ، وكشفت وسط نار المعركة معدن الانسان العربي المقاتل وفتحت اعين الجميع على الامكانات الكامنة في أمة العرب وجسدت الفضائل الحربية النادرة لهذه الامة ، وحولت هذه البقعة المحدودة من ارض لبنان الى مدرسة لكل العرب ، تماما كما تحولت « قلعة بريست » الحدودية الى مدرسة لكل الشعب السوفياتي ، بفضل صمودها ٣٠ يوما امام قوات المارشال النازي فون بول في حزيران وتموز ١٩٤١ رغم تطويق العدو لها من جميع الجهات والتغلغل وراءها مئات الاميال .

هكذا قدم المدافعون عن تل الزعتر دماءهم ثمنا لخلق ملحمة بطولية عربية يفاخرون بها العرب والعالم . وكانت الهجمات المتكررة والمتفوقة « حجر المحك » الذي اعطاهم الفرصة لاظهار صلابة معدنهم . وبخلق الملحمة تحول تل الزعتر من ارض لبنانية مجهولة الاسم الى ثروة عربية وجزء من التاريخ العسكري العربي المعاصر ، بعد ان غسلت كل صخرة وبيت وحبة تراب فيه بدم عربي طاهر ، وغدت رمزا للصمود والفضيلة العربية ، وشاهدا ملموسا على ان لدى الامة العربية من الامكانات ما يؤهلها لان تبدل وجه المنطقة وان تحول اتجاه الصراع ضد الصهيونية نحو النصر .

وكان من المفروض ان يفهم المهاجمون هذه الحقيقة ، وان يعوا ان كل مقاتل في تل الزعتر يشكل بحد ذاته رمزا ، وان يقدروا مغزى البطولة ـ الاسطورة عندما استطاعوا احتلال المخيم ، وان ينحنوا باجلال وتقدير امام كل مدني واسير وجريح . وكان من المفروض ان يثمنوا الصمود في تل الزعتر كما ثمن المارشال رومل صمود حامية بير حكيم فليس هناك من يقدر البطولة مثل المقاتل الحقيقي الذي يحترم الخصم الشجاع الذي يؤسر وسلاحه بيده ، ولا يحتقر سوى الخصم الجبان الذي يولي الادبار ويمنحه نصرا سهلا رخيص الثمن .